رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

اتباع الرسول

بصحيح المنقول وصريح المعقول

صنفه

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

المتوفى سنة (٧٢٨ هـ)

ضبط نصه وعلق عليه

علي حسن علي عبد الحميد

المكتبة الإسلامية

عمان - الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

اتباع الرسول

بصحيح المنقول وصريح المعقول

صنفه
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
المتوفى سنة (٧٢٨ هـ)

ضبط نصه وعلق عليه
علي حسن علي عبد الحميد

المكتبة الإسلامية
عمان - الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ

المكتبة الإسلامية
هاتف ٨٤٢٨٨٧ - ص.ب ١١٣ الجبيهة - عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــــديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

فهذه رسالةٌ مفيدة مهمة من مصنَّفات الحافظ العلّامة الإمام ابن تيمية(١) شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

وهي رسالةٌ ـ على صغر حجمها ـ تعالجُ مسائل مهمة جداً أهمها مسألة الولاية والأولياء وبيان الضوابط الشرعية لها.

ولقد نُشرت هذه الرسالة ـ من قَبْلُ ـ مرَّات، أشهرها ضمن «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٠ / ٤٣٠ ـ ٤٥٣ ـ طبع الرياض) وضمن «مجمـوع الرسـائل المهمـة» (٢٣٢ ـ ٢٥٩ ـ منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض).

---

(١) وله ترجمة في عشرات الكتب، وانظر لزاماً مقدمتي لكتاب «التذكرة والاعتبـار والانتصار لـلأبرار» لابن شيـخ الحَزامين، طبـع المكتبة الإسـلامية ـ الأردن.

ولكنّ هاتين الطبعتين لم تكونا على الوجه اللائق بمصنفات شيخ الإسلام رحمه الله، إذ كانتا دون تخريج أو تعليق أو ضبط أو تحقيق.

وقد اعتمدت في طبعتي هذه على هاتين الطَّبْعتيْن بعد التحقيق والتدقيق والمراجعة، وأثبتُّ ما كان صواباً بينهما دون أن أشير إلى ذلك في التعليقات.

فإذا رأيتَ - أخي القارىء - هذا العمل العلمي صحيحاً فاحْمدِ الله وادْع لي، وإلّا فاستغفر لأخيك في جلوتك وخلوتك، والحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو الحارث علي بن حسن بن علي

الزرقاء - الأردن

في التاسع من شعبان سنة ستٍّ وأربع
مئة وألف للهجرة النبوية المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُهُ، ﷺ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاعلم أنّه يجبُ على كلِّ بالغٍ عاقلٍ من الإنسِ والجنِّ أن يشهدَ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه، وكفى بالله شهيداً، أرسله إلى جميع الخَلْق: إنسهم وجنِّهم، وعَرَبِهم وَعَجمهم، وفُرْسِهم، وهِنْدِهم، وبَرْبَرِهم، ورومهم، وسائرِ أصناف العَجَم: أسودِهم وأبيضهم.

والمرادُ بالعَجَم: (١) مَن ليس بعربيٍّ على اختلاف ألسنتهم.

فمحمدٌ ﷺ أُرسلَ إلى كلِّ أحدٍ من الإنس والجن: كتابيِّهم وغيرِ كتابيِّهم، في كل ما يتعلق بدينهِ من الأمورِ الباطنةِ والظاهرةِ: في عقائدهِ وحقائقهِ، وطرائقهِ وشرائعهِ، فلا عقيدةَ إلا عقيدتُه، ولا حقيقةَ إلا حقيقتُه، ولا طريقة إلا طريقتُهُ، ولا شريعةَ إلا شريعتُه، ولا يَصِلُ أحدٌ من الخَلْقِ إلى الله وإلى رضوانه وجنتهِ وكرامتهِ

(١) انظر «مجمل اللغة» (٢٠ / ٦٤٩) لابن فارس.

وولايتِهِ، إلا بمتابعتِهِ باطناً وظاهراً في الأقوالِ والأعمالِ الباطنةِ والظاهِرةِ، في أَقوال القلب وعقائده، وأحْوالِ القلب وحقائقِهِ، وأقْوالِ اللسانِ وأَعمالِ الجوارحِ.

وليس لله وليٌّ إلا مَنِ اتَّبَعه باطناً وظاهراً: فصدّقه فيما أخبر به من الغيوبِ، والتزمَ طاعتَه فيما فَرَضَ على الخَلْقِ من أداءِ الواجباتِ وتَرْكِ المُحَرَّماتِ، فَمَنْ لم يكن له مُصدِّقاً فيما أخبر، مُلْتَزِماً لطاعته فيما أوجب وأمَرَ، [منقاداً] (١) في الأمور الباطنة التي في القُلوب، والأعمالِ الظّاهرة التي على الأَبدان، لم يكن مُؤمناً، فَضْلاً عن أن يكونَ وليّاً لله، (٢) ولو حَصَل له من خَوارق العاداتِ ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكونُ ـ مَعَ تَرْكه لفعل المأمور، وتَرْكَ المحظور مِنْ أداءِ الواجبات من الصلاة وغيرها، بطهارَتِها وواجباتِهَا ـ إلاّ من أهل الأحوال الشيطانية، المُبْعِدة لصاحبها عن الله، المُقَرِّبة إلى سَخَطه وعذابه.

لكنْ من ليس بمكلَّف من الأطفال والمجانين قد رُفع القلم عنهم(٣)، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطناً

---

(١) في «الأصل» بياض، ولعل الصواب ما أثبتُّه.

(٢) فكيف بمن ظهرت المعاصي الواضحة والمنكرات الفاضحة على محياه ويدعي الولاية لله، بل يزيد على ذلك بأن يزعم أن الله أعطاه الكرامات، كضرب السيف والشيش، وغير ذلك من منكرات وشعوذات، عافانا الله وإياكم منهم!!

(٣) كما في قوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن... وعن المجنون حتى =

وظاهراً ما يكونون به من أولياءِ الله المُتقين، وحِزْبِهِ المفلحين، وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تَبعاً لآبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْنَاهُم منْ عَمَلِهِم منْ شَيْءٍ. كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] وهم مع عَدَم العَقْل لا يكـونون ممّن في قلوبهم حقائقُ الإيمان، ومعارفُ أهل ولاية الله، وأحوالُ خواصِّ الله؛ لأنَّ هذه الأمورَ كلَّهـا مشروطـةٌ بالعَقْـل، فالجنـونُ مضادٌّ العقـلِ، والتصديقِ، والمعرفةِ، واليقينِ، والهدى، والثناء، وإنّما يرفعُ الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلمَ درجاتٍ.

فالمجنونُ وإنْ كانَ الله لا يعاقبُه، ويرحمُه في الآخرةِ، فإنّه لا يكـونُ من أولياءِ الله المُقـرَّبينَ والمُقْتَصـدينَ الـذين يـرفـعُ الله دَرَجاتِهِمْ.

وَمَنْ ظنَّ أنَّ أحداً من هؤلاء الذين لا يُؤَدّون الواجباتِ، ولا يتركون المُحَرّمات، سواءٌ كان عاقلاً أو مجنوناً، أو مُوَلَّهاً أو مُتَوَلِّهاً فمَنِ اعتقـدَ أنَّ أحداً من هؤلاء من أوليـاء الله المتقين، وحزبـهِ المفلحين، وعبـادهِ الصـالحين، وجنـده الغـالبين السـابقين المُقَـربين، والمقتصـدين الـذين يـرفـع الله درجـاتِهم بـالعلم

= يعقـل وعن الصبي حتى يحتلم» رواه أبو داود (٨/ ٤٨٩) والنسـائي (٢/ ١٠٠) والدارمي (٢/ ١٧١) وابن ماجه (٢٠٤١) وابن حبان (١٤٩٦ موارد) وغيرهم عن عائشة بسند صحيح.

والإيمان؛ مع كونهِ لا يُؤدّي الواجباتِ ولا يتركُ المحرّماتِ ـ كان المُعْتَقِدُ لولايةِ مثل هذا كافراً مُرْتداً عن دين الإسلام، غيرَ شاهدٍ لمحمد ﷺ بأنه رسولُ الله ﷺ؛ بل هو مُكَذِّبٌ لمحمد ﷺ فيما شهد به، لأنَّ محمداً أخبر عن الله أنَّ أولياءَ الله هم المُتَّقونَ المُؤمنونَ.

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

والتقوى(١) أَنْ يعملَ الرجلُ بطاعةِ الله على نورٍ من الله يرجو رحمةَ الله، وأن يتركَ معصيةَ الله على نُورٍ من الله يخافُ عذابَ الله، ولا يتقرب وليُّ الله إلا بأداء فرائضهِ، ثم بأداء نوافله.

قال تعالى: «ما تَقَرَّبَ إلَيَّ عبدي بمثل أداء ما افْتَرَضتُ عليه، ولا يزال عبدي يَتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه»، كما جاء في الحديث الصحيح الإلٰهي الذي رواه البخاريُّ(٢).

---

(١) ولشيخنا المقرىء الفاضل عبد الودود الزراري حفظه الله ووفقه رسالة في التقوى مخطوطة يسر الله نشرها بمنه وكرمه.

(٢) برقم (٦٥٠٢) عن أبي هُرَيْرة

فصـــل

ومِنْ أحَبِّ الأعمالِ إلى الله، وأعظمِ الفرائض عندَه: الصلواتُ الخمسُ في مواقيتها، وهي أوّلُ ما يحاسَبُ عليها العبدُ من عمله يوم القيامة، وهي التي فرَضَها الله تعالى بنفسهِ ليلةَ المِعْراج؛ (١) لم يجعلْ فيها بينه وبين محمدٍ واسطةً.

وهي عمودُ الإسلامِ الذي لا يقومُ إلّا به، وهي أهمُّ أمر الدين، كما كان أميرُ المؤمنين عُمَرُ بن الخطاب يكتب إلى عُمَّاله: إنَّ أهَمَّ أمرِكم عندي الصلاةُ، فَمَنْ حفظَها وحافَظ عليها حفظ دينَه، وَمَنْ ضَيّعها كان لِما سواها من عَمِلِه أشدَّ إضاعةً.

وقد ثبت في «الصحيح»(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «بين العَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكَ الصَّلاةِ».

وقال: «العهد الذي بيننا وبينَهُم الصلاةُ، فمَن تركَهَا فقد كَفَر»(٣).

فمن لم يعتقدْ وجوبَها على كلِّ عاقلٍ بالغٍ إلا الحائض والنُّفساء فهو كافرٌ مرتدٌّ باتِّفاقِ أئمة المسلمين، وإنِ اعتقدَ أنّها

(١) كما رواه البخاري (٦/٢١٧) ومسلم (٢١٩) عن أنس، وفي الباب عن عدة من الصحابة.

(٢) رواه مسلم (٨٢) عن جابر.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٢٣) والنسائي (١/٢٣١) وأحمد (٥/٣٤٦) والحاكم (١/٦، ٧) عن بريدة بسند صحيح.

عملٌ صـالحٌ ، وأنَّ الله يحبُّها ويُثيبُ عليها، وصلّى مع ذلك، وقام الليلَ وصام النهار ـ وهو مع ذلك لا يعتقدُ وجوبَها(١) على كُلِّ بالغٍ ، فهو أيضاً كافرٌ مرتدٌّ حتى يعتقد أنها فرضٌ واجبٌ على كلِّ بالغٍ عاقلٍ !

وَمَنِ اعتقــدَ أنهـا تسقطُ عن بعض الشُّيــوخ العـارفين، والمُكــاشِفين والـواصِلين، أوْ أنَّ لله خَــواصَّ لا تجبُ عليهم الصلاةُ، بل قد سَقَطَتْ عنهم لِوُصولِهِمْ إلى حَضْرة القُدُس، أو لاستغنائهم عنها بما هو أهمُّ منها أو أَوْلى، أو أنَّ المقصودَ حضورُ القلب مع الرب، أو أنَّ الصلاةَ فيها تَفْرِقَةٌ ـ فإذا كان العبـد في جمعِيَّتِهِ مع الله، فلا يحتاج إلى الصلاة، بل المقصودُ من الصلاةِ هي المعرفةُ، فإذا حصَلَتْ لم يَحْتَجْ إلى الصلاةِ؛ فإنَّ المقصودَ أن يَحْصُلَ لك خرقُ عادة: كالطيرانِ في الهواءِ والمشي على الماء، أو مَلْءِ الأوعيةِ ماءً من الهواء، أو تغويرِ المياه واستخراجِ ما تحتَها من الكنوز، وقتْلِ منْ يبغضه بالأحوال الشيطانية ـ فمتى حصَلَ له ذلك استغنى عن الصلاةِ ونحو ذلك ـ أو أن لله رجالاً خواصَّ لا يحتاجون إلى متابعةِ محمدٍ ﷺ، بل استغْنَـوْا عنه كمـا استغنى الخَضِرُ عن موسى(٢)، أوْ كُلَّ مَنْ كاشَفَ وطار في الهواء أو مشى

---

(١) وهذا قيدٌ دقيق فاحفظه!

(٢) انظر تفاصيل ذلك في سورة «الكهف» و«صحيح البخاري» (٤٧٢٦) ومسلم (٢٣٨٠)

على الماء فهو وَليٌّ سواءٌ صلى أو لم يُصَلِّ ـ أو اعتقدَ أنَّ الصلاة تُقْبَلُ من غير طهارة، او أنَّ المُوَلّهين والمُتَوَلِّهين والمجانينَ الذين يكونون في المقابرِ والمزابلِ والطَّهارات والحانات والقَمّامين، وغير ذلك من البِقَاع؛ وهم لا يَتوضّئون ولا يُصَلّون الصلواتِ المفروضاتِ ـ فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء(١)؛ فهو كافر مرتدٌّ عن الإسلام، باتفاق أئمة الإسلام، ولو كان في نفسه زاهداً عابداً.

فالرهبانُ أزْهَدُ وأَعْبَدُ، وقد آمنوا بكثير مما جاء به الرسولُ، وجمهورُهم يُعظّمون الرسولَ وَيُعَظِّمونَ اتّباعه، ولكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاء به، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فصاروا بذلك كافرين؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ باللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدونَ أنْ يُفَرِّقُوا بيْنَ اللهِ ورُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبيلاً* أُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقَّاً وأَعْتَدْنا لِلْكَافِرينَ عذَاباً مهيناً* وَالَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقوا بَيْنَ أحَدٍ مِّنْهُمْ أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتيهِمْ أُجُورَهُمْ. وكَانَ اللهُ غفُوراً رحِيماً﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢]

وَمَنْ كان مسلوبَ العقلَ أو مجنوناً فغايتُه أن يكون القلمُ قد رفع عنه فليس عليه عقابٌ، ولا يصحُّ إيمانُه ولا صلاتُه ولا صيامُه

(١) والذي ينظر كتاب «جامع كرامات الأولياء!!» للشيخ يوسف النبهاني(!) يرى كثيراً من أحوال هؤلاء المجاذيب الذين عدهم الشيخ أولياءَ الله بزعمه!!

ولا شيءُ من أعماله؛ فإنَّ الأعمالَ كلها لا تُقبل إلّا مع العَقْل؛ فَمَنْ لا عَقْلَ له، لا يَصِحُّ شيءُ من عباداته: لا فرائضهُ ولا نوافلُه، ومن لا فريضة له ولا نافلة: ليس من أولياءِ الله؛ ولهذا قال الله تعالى:

﴿إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لأُولِي النُّهى﴾ [طـه: ١٢٨] أي: العقول.

وقال تعالى: ﴿هَلْ في ذلِكَ قَسمٌ لذي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، أي: لذي عقل. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُونِ يا أُولِي الألْبابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ الله الصُّمُّ البُكْمُ الذينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إنَّا أنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبياً لعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] فإنما مدح اللهُ وأثنى على من كان له عقل، فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يُثن عليه، ولم يذكره بخير قط؛ بل قال تعالى عن أهل النار: ﴿وقالُوا لَوْ كُنَّا نسْمَعُ أوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا في أصْحَابِ السَّعيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِّنَ الجِنِّ والإنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهّا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبصرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا. أُولئِكَ كالأنْعَامِ. بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُولئِكَ هُمُ

الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ. إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] فَمَنْ لا عَقْلَ له لا يصحُّ إيمانهُ ولا فَرْضُه ولا نَفْلُه.

ومن كان يهودياً أو نصرانياً، ثم جُنَّ وأسلمَ بعد جنونهِ لم يصحَّ إسلامُه لا باطناً ولا ظاهراً.

ومن كـان قد آمنَ ثم كفـر وجُنَّ بعد ذلـك فَحُكْمُهُ حُكْمُ الكُفّار.

ومن كان مؤمناً ثم جُنَّ بعد ذلك أثيبَ على إيمانهِ الذي كان في عقله.

ومن ولد مجنوناً ثم استمرّ جنونه لم يصحَّ منه إيمـانٌ ولا كفرٌ.

وحُكْمُ المجنون حُكْمُ الطفلِ: إذا كان أبوه مسلماً كـان مسلماً تبعاً لِأَبَوَيْهِ باتّفاقِ المسلمين.

وكذلك إذا كانت أُمُّه مسلمةً عند جمهور العلماء، كـأبي حنيفة والشافعي وأحمد.

وكذلك من جُنَّ بعد إسلامه يثبت لهم حكم الإسلام تَبَعاً لآبائهم، وكذلك المجنونُ الذي وُلد بينِ المُسلمين، يُحْكَمُ له بالإسلام ظاهراً، تبعاً لأبويه، أو لأهل الدَّار.

كما يُحكم بذلك للأطفال، لا لأجل إيمانٍ قامَ به؛ فأطفالُ المسلمين ومجانينهم يومَ القيامة تبَعٌ لآبائهم.

وهذا الإسلامُ لا يوجبُ له مَزِيَّةً على غيره، ولا أن يصيرَ به من أولياء الله المُتَّقين الذين يَتقرَّبون إليه بالفرائضِ والنوافلِ.

وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنْتُمْ سكارَى حتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جنُباً إلاَّ عابِري سبيلٍ حتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] فنهى الله عزَّ وجلَّ عن قربانِ الصَّلاة إذا كانوا سكارى حتى يعلموا ما يقولون.

وهذه الآيةُ نزلت(١) ـ باتفاقِ العُلَماء ـ قبل أن تُحَرَّمَ الخمر، بالآية التي أنزلها الله في سورة المائدة(٢).

وقد روي أنّه كان سببُ نزولها أنَّ بعضَ الصحابةِ صلّى بأصحابه وقد شربَ الخمر قبل أن تُحرّم؛ فخلّط فَغلطَ في القراءة؛ فأنزل الله هذه الآيةَ(٣).

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٨٨) لابن الجوزي، و«لباب النقول» (ص٦٨) للسيوطي.

(٢) الآية رقم: ٩٠، وهي قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنَّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وانظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص٥٦) للوادعي.

(٣) رواه أبو داود (٣/٤٤٥) والترمذي (٢/١٢٧) وابن جرير (٨/٣٧٦) والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٧/٤٠٢) من طريقين عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن علي رضي الله عنه، وذكر القصة. وهذا =

فإذا كان الله قد حرّم الصلاةَ مع السُّكر، والشرب الذي لم يُحَرَّم، حتى يعلموا ما يقولون، عُلِمَ أنَّ ذلك يُوجِبُ ألاّ يُصَلّي أحدٌ حتى يعلم ما يقولُ، فمن لم يعلمْ ما يقولُ لم تحلَّ له الصلاةُ، وإن كان عقلُه قد زال بسببٍ غيرِ مُحَرَّم!

ولهذا اتّفق العُلَماءُ على أنه لا تصحُّ صلاةُ مَنْ زال عقلهُ بأي سبب زالَ، فكيف بالمجنون!

وقد قال بعضُ المُفَسِّرين ـ وهو يُروى عن الضَّحَّاك(١) : لا تقربوها وأنتم سكارى من النوم.

وهذا إذا قيل: إنَّ الآيةَ دلّتْ عليه بطريق الاعتبار، أو شمولِ معنى اللفظ العامّ، وإلا فلا رَيْبَ أنَّ سبب نزولِ الآيةِ كان السُّكرَ من الخمرِ، واللفظُ صريحٌ في ذلك، والمعنى الآخرُ صحيح أيضاً.

وقد ثبت في «الصحيحين»(٢) عن النبيِّ، ﷺ، أنه قال:

= إسناد صحيح، فإن إحدى الطريقين عن سفيان عن عطاء وقد سمع منه قبل الاختلاط.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/٥٤٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والحاكم.

(١) ولفظه: لم يَعْنِ بها الخمر، إنما عنى بها سكر النوم، أخرجه الفِرْيابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه، قاله السيوطي في «الدر» (١/٥٤٦).

(٢) هذا ملفق من حديثين:

الأول: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدْرِ ما =

«إذا قامَ أحدكم يصلِّي بالليل فَاسْتَعْجَمَ القرآنُ على لسانه فليرقُدْ فإنه لا يدري لعلَّه يريدُ أن يستغفرَ فيَسُبَّ نفسه» وفي لفظ: «إذا قام يصلي فنَعس فليرقدْ».

فقد نهى النبيُّ ﷺ عن الصلاةِ مع النعاسِ الذي يغلط معه الناعسُ.

وقد احتجَّ العلماءُ بهذا على أنَّ النعاسَ لا ينقضُ الوضوءَ؛ إذ لو نُقضَ بذلكَ لَبَطَلَتِ الصلاةُ، أو لوجبَ الخروجُ منها لتجديدِ الطهارةِ؛ والنبيُّ ﷺ إنما علَّلَ ذلك بقولِهِ: «فإنَّه لا يدري لعلّه يريدُ أن يستغفرَ فَيَسُبَّ نفسَه».

فعُلِمَ أنه قصَدَ النَّهْيَ عن الصَّلاةِ لمن لا يدري ما يقولُ، وإنْ كان ذلك بسبب النعاس.

وَمَرَدُّ ذلك أنـه ثبت عنه في «الصحيح»(١) أنه قـال: «لا

= يقول فليضطجع».

رواه مسلم (٧٨٧) وأبو داود (١٣١١) وأحمد (٢/٣١٨) والبغوي (٩٤١) عن أبي هريرة.

الثاني: «إذا نَعِسَ أحدكم في صلاته فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنّ أحدكم وهو ناعس، لعله يريد أن يستغفر فيسبّ نفسه».

رواه البخاري (١/٦٣) ومسلم (١/٥٤٢) وأبو داود (٢/٧٤) والترمذي (١/١١٢) والنسائي (١/٩٩) وابن ماجه (١/٤٣٦) ومالك (١/١١٨) والحميدي (١/٩٦) ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (١٧٠ ـ مختصره) وأحمد (٦/٥٦) والدارمي (١/٣٢١) وابن خزيمة (٢/٥٥) عن عائشة.

واللفظ التالي منهما أيضاً والله أعلم.

(١) هو في «صحيح مسلم» (برقم ٥٦٠) عن عائشة.

يُصلِّي أحدُكُمْ وهو يدافعُ الأخْبَثَيْنِ، ولا بحضْرة طعامٍ» لِمَا في ذلك من شُغل القلبِ.

وقال أبو الدَّرْدَاء: مِن فقْه الرجُل أن يبدأَ بحاجته فيَقْضِيَها، ثم يُقبل على صلاته وقلبُه فارغٌ.

فإذا كانتِ الصلاةُ مُحَرَّمَةً مع ما يُزيلُ العقلَ، ولو كان بسببٍ مباحٍ حتى يَعْلَمَ ما يقولُ، كانت صلاةُ المجنونِ، ومَنْ يدخل في مسمَّى المجنون ـ وإنْ سُمِّيَ مُوَلِّهاً أَو مُتَوَلِّها ـ أَوْلَى أن لا تجوزَ صلاتهُ.

ومعلومٌ أنَّ الصلاةَ أفضلُ العبادات، كما في «الصحيحين»(١) عن ابن مسعودٍ أنه قال: قلتُ للنّبي ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاةُ على وقتِها» قلتُ: ثم أيّ؟ قال: «برُّ الوالدين» قلتُ: ثم أي؟ قال: «الجهاد»، قال: حدّثني بهنَّ رسول الله ﷺ، ولو استزدْتُهُ لزادني.

وثبت أيضاً في «الصحيحين»(٢) عنه: أنه جعل أفضل الأعمال: «إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيله، ثم الحجّ المبرور».

ولا مُنافاةَ بينهما، فإنَّ الصلاةَ داخلةٌ في مسمّى الإيمان بالله، كما دَخَلَتْ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ﴾

(١) رواه البخاري (١/١٤٣) ومسلم (١/٦٣) والنسائي (١/١٠٠) والترمذي (١/٣٦) والدارمي (١/٢٧٨) وأحمد (١/٤٠٩) عن ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٨٣) عن أبي هريرة.

[البقـرة: ١٤٣] قال البَـرَاءُ بن عازب وغيـره من السَّلَف: أيْ صلاَتكم إلى بيت المقدس(١).

ولهذا كانتِ الصلاةُ كالإيمانِ لا تدخُلُها النيابَةُ بحال، فلا يُصَلّي أحدٌ عن أحدٍ الفرضَ، لا لِعُذْرٍ، ولا لِغَيْرِ عُذرٍ، كما لا يؤمنُ أحدٌ عنه، ولا تسقطُ بحالٍ، كما لا يسقطُ الإيمـانُ، بل عليـهِ الصلاةُ ما دام عَقْلُهُ حاضراً وهو مُتَمَكِّنٌ من فعل بعض أفعالها، فإذا عَجِزَ عن جميع الأفعال ولم يَقْدِرْ على الأقوالِ، فهل يُصلّي بتحريك طرفِه، ويستحضرُ الأفعالَ بقلبه؟ فيه قولان للعلماء، وإن كان الأظهرُ أنَّ هذا غيرُ مشروع.

فإذا كان كذلك تبيّن أنَّ مَنْ زال عقلُه فقد حُرِم ما يتقرّب به إلى الله من فرضٍ ونفلٍ.

والولايةُ هي الإيمانُ والتقوى المُتَضَمِّنَةُ للتقرُّبِ بالفرائضِ والنوافلِ، فقد حُرِمَ ما به يتقرّب أولياءُ الله إليه، لكنّه مع جُنونهِ قد رُفع القلمُ عنه فلا يُعَاقَبُ، كما لا يُعَاقَبُ الأطفالُ والبهائمُ، إذ لا تكليفَ عليهم في هذه الحالِ.

ثم إنْ كـان مُؤ مناً قبـلَ حُدُوثِ الجنـون به، ولـه أعمالٌ صالحةٌ، وكان يتقرّب إلى الله بالفرائضِ والنوافلِ قبل زَوالِ عقله

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم كما قال السيوطي في «الدر» (١/٣٥٣).

كان له من ثوابٍ ذلك الإيمانِ والعَمَلِ الصالحِ ما تقدّم، وكان له من ولايةِ الله تعالى بحسب ما كان عليه من الإيمانِ والتقوى، كما لا يسقُطُ ذلك بالموتِ بخلافِ ما لو ارْتَدَّ عن الإسلام، فإنَّ الردَّة تُحبط الأعمالَ، وليس من السَّيئاتِ ما يُحبط الأعمالَ الصالحةَ إلّا الردةُ، كما أنّه ليس من الحسناتِ ما يُحبط جميعَ السيئاتِ إلّا التوبةُ، فلا يُكْتَبُ للمجنونِ حالَ جنونه مثلُ ما كان يعمل في حال إفاقته، كما لا يكونُ مثلُ ذلك لسيئاتهِ في زوال عقله بالأعمال المُسْكِرَةِ والنومِ، لأنّه في هذه الحالةِ ليس له قَصْدٌ صحيحٌ.

ولكنْ في الحديث الصحيح(١) عن أَبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا مرِض العبدُ، أو سافرَ كُتِب له من العمل ما كان يعملُ وهو صحيح مقيم».

وفي «الصحيح»(٢) عن النبي ﷺ أنه قال في غزوة تبوك: «إنّ بالمدينة لَرِجَالًا ما سِرتُم مَسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم» قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذْر».

فهؤلاء كانوا قاصِدينَ للعَمَل الذي كانوا يعملونَهُ، راغبينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٢٤٦) وأبو داود (٣٠٩١) وأحمد (٤/٤١٠) وانظر لزاماً «إرواء الغليل» (٥٥٩) لشيخنا الألباني.

(٢) رواه البخاري (٦/٣٤) عن أنس، وأبو داود (٢٥٠٨) واللفظ له، وأخرجه مسلم (١٩١١) عن جابر بنحوه.

فيه، لكنْ عَجِزوا فصاروا بمنزلة العامل، بخلافِ مَنْ زال عقلُه، فإنه ليس له قَصْدٌ صحيحٌ، ولا عبادة أصلاً، بخلافِ أولئك، فإنَّ لهم قَصْداً صحيحاً يُكتب به لهم الثوابُ.

وأمّا إنْ كان قبل جنونهِ كافراً، أو فاسقاً، أو مُذنباً لم يكن حدوثُ الجنون به مُزيلاً لِمَا ثَبَتَ من كُفْرهِ وفِسْقهِ، ولهذا كان مَن جُنَّ من اليهودِ والنصارى بَعْد تهوُّده وتنصُّره محشوراً معهم - وكذلك مَن جُنَّ من المسلمين بعد إيمانه وتقواه محشورٌ مع المؤمنين من المتقين.

وزوالُ العقل بجنونٍ، أو غيره، سواءٌ سُمِّيَ صاحبُه مُوَلَّهاً أو مُتَوَلِّهاً لا يوجِبُ مزيدَ حالِ صاحبه من الإيمانِ والتقوى، ولا يكونُ زوالُ عَقْلهِ سبباً لمزيدِ خَيْرهِ، ولا صلاحهِ ولا دينهِ، ولكنَّ الجنونَ يُوجِبُ زوالَ العقل فيبقى على ما كان عليه من خيرٍ وشرٍّ، لا أنه يزيدُهُ ولا ينقصُهُ، لكنّ جنونَه يحرمه الزيادةَ من الخير، كما أنه يمنع عقوبتَه على الشرّ.

وأمّا إن كان زوالُ عقله بسبب مُحَرّم كَشُربِ الخمر وأَكْلِ الحشيشة، أو كان يحضُر السماع المُلَحَّن(١)، فيستمعُ حتى يغيبَ عقلُه، أو الذي يتعبّد بعباداتٍ بدعيّةٍ حتى يقترنَ به بعضُ الشياطين

---

(١) وللمصنّف رسالة مفردة في هذه المسألة، بدأت بتحقيقها والتعليق عليها، يسر الله إتمامها.

فَيُغَيّروا عقلَه، أو يأكل بَنْجاً(١) يُزيلُ عقلَه ـ فهؤلاء يَسْتَحِقُّوْنَ الذمَّ والعقابَ على ما أزالوا به العقولَ.

وكثيرٌ من هؤلاء يستجلبُ الحالَ الشيطانيَّ بأنْ يفعلَ ما يحبُّه، فيرقصُ رقصاً عظيماً، حتى يغيبَ عقلُه، أو يغطُّ ويخورَ حتى يجيئَه الحالُ الشيطانيُّ، وكثيرٌ من هؤلاء يقصدُ التَّوَلُّهَ حتى يصيرَ مُوَلَّهاً ـ فهؤلاء كلُّهم من حزبِ الشيطانِ، وهذا معروفٌ من غير واحدٍ منهم!

واختلف العلماءُ: هَل هُم مُكَلَّفون في حال زوال عقولهم؟ والأصلُ مسألة السكران، والمنصوصُ عن الشافعيّ وأحمدَ، وغيرِهما أنه مكلَّفٌ حالَ زوالِ عقله.

وقال كثيرٌ من العلماء: ليس مُكَلَّفاً، وهو أحدُ القولين في مذهب الشافعيّ وأحمد.

وإحدى الروايتين عن أحمد: أنَّ طلاقَ السكران لا يقعُ، وهذا أظهرُ القولين(٢)، ولم يَقُلْ أحدٌ من العلماء: إنَّ هؤلاء الذين زال عقلُهم، بمثل هذا، يكونون من أولياءِ الله المُوَحّدين المُقَرّبين، وحزبه المُفْلحين.

---

(١) قال في «المعجم الوجيز» (ص٦٢): جنس نباتات طبية مخدرة من الفصيلة الباذنجانية!

(٢) انظر رسالة «الاستئناس لتصحيح انكحة الناس» للقاسمي بتحقيقي، طبع دار عمار ـ الأردن.

وَمَنْ ذَكَرَهُ العلماءُ من عُقلاء المجانين، الذين ذكروهم بخيرٍ، فهم من القسم الأوّل، الذين كان فيهم خَيْرٌ ثم زالت عقولُهم.

ومِنْ علامة هؤلاء أنهم إذا حصل لهم في جُنونِهم نوعٌ من الصَّحْو تكلّموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، لا بالكُفْرِ والبُهْتَان، بخلاف غيرهم مِمّنْ يتكلّم ـ إذا حصل له نوعُ إفاقةٍ ـ بالكفرِ والشركِ، ويَهذي في زوال عَقْلِهِ بالكفر، فهذا إنما يكون كافراً لا مُسلماً.

ومَن كانَ يهذي بكلام لا يعقل بالفارسيّةِ أو التركيّةِ أو البربريّةِ وغير ذلك مما يحصُلُ لبعض من يَحْضُرُ السماعَ، ويحصل له وَجْدٌ يُغَيِّبُ عقلَه حتى يَهذي بكلام لا يُعْقَلُ أو بغير العربية ـ فهؤلاء إنما يتكلّم على ألسِنتِهم الشيطانُ، كما يتكلّم على لسان المصروع.

وَمَنْ قال: إنَّ هؤلاء أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً، فأبقى أحوالَهم وأذهب عقولَهم، وأسقط ما فَرَضَ عليهم بما سَلَبَ.

قيل: «وَهَبَ الله لهم أحوالاً» كلامٌ مُجْمَلٌ، فإنَّ الأحوالَ تنقسم إلى: حال رحماني، وحال شيطانيّ، وما يكون لهؤلاء من خَرْقِ عادةٍ بمكاشَفةٍ وتصرُّفٍ عجيبٍ، فتارةً يكونُ من جنس ما يكون للسَّحرة والكّهانِ، وتارةً يكونُ من الرحمن من جنس ما

يكونُ من أهل التقوى والإيمان.

فإن كان هؤلاء في حال عُقولهم كانت لهم مواهبُ إيمانيّةٌ، وكانوا من المؤمنين المتقين ـ فلا رَيْبَ أنه إذا زالت عقولُهم سَقَطَتْ عنهم الفرائضُ بما سُلِبَ من العقول، وإنْ كان ما أُعْطَوْهَ من الأحوال الشيطانية كما يُعْطاهُ المشركون وأهلُ الكتاب والمنافقون ـ فهؤلاء إذا زالت عقولُهم لم يَخْرُجُوا بذلك مِمَّا كانوا عليه من الكفر والفسوق، كما لم يخرج الأوّلون عمّا كانوا عليه من الإيمان والتقوى.

كما أنّ نَوْمَ كلِّ واحدٍ من الطائفتين وموتَه وإغْماءَه، لا يُزيل حُكْمَ ما تقدّم قبل زوال عقلهِ من إيمانه وطاعته، أو كفره وفسقه، بزوال العقل ـ غايتُه أن يُسقط التكليفَ.

وَرَفْعُ القلم لا يُوجب حَمْداً ولا مَدْحاً ولا ثواباً، ولا يَحْصُلُ لصاحبه بسبب زوال عقلهِ موهبةٌ من مواهب أولياءِ الله، ولا كرامةٌ من كراماتِ الصالحين، بل قد رُفع القلمُ عنه كما قد يُرفع القلمُ عن النائم والمُغْمَىٰ عليه والميّت.

ولا مَدْحَ في ذلك ولا ذَمَّ، بل النائمُ أحسنُ حالاً من هؤلاء.

ولهذا كان الأنبياءُ عليهم السلام ينامون وليس فيهم مجنونٌ ولا مُوَلَّهٌ.

والنبيُّ ﷺ يجوزُ عليه النومُ والإغماءُ، ولا يجوزُ عليه الجنونُ.

وكان نَبِيُّنا محمدٌ ﷺ تنام عيناه ولا ينامُ قلبُه(١)، وقد أُغمِيَ عليه في مرضه(٢).

وأمّا الجنونُ فقد نَزَّهَ الله أنبياءَه عنه، فإنّه من أعظم نقائص الإنسانِ، إذْ كمالُ الإنسان بالعقل، ولهذا حَرَّم الله إزالةَ العقل بكلّ طريق، وحَرَّمَ ما يكونُ ذريعةً إلى إزالة العقل، كشرب الخمر، فحرَّم القَطْرَةَ منها وإن لم تُزِلِ العَقْلَ، لأنّها ذريعةٌ إلى شرب الكثير الذي يُزيل العقل.

فكيف يكونُ مع هذا زوالُ العقل سَبَباً أو شَرْطاً أو مُقَرّباً إلى ولاية الله، كما يظنّه كثير من أهل الضلال؟ حتى قال قائلُهم في هؤلاء:

هُمُ معشرٌ حَلُّوا النِّظَامَ وخَرَّقوا السِّيـ
ـاجَ فلا فَرْضٌ لديهم ولا نَفْلُ
مجانينُ إلا أن سِرَّ جنونهم
عزيزٌ على أبوابِهِ يَسْجُدُ العقلُ

فهذا كلامُ ضالٍّ، بل كافرٍ، يَظُنُّ أنَّ للجنونِ سِرًّا يسجدُ

(١) رواه البخاري (٣/١٦) ومسلم (٧٣٦) عن عائشة.
(٢) رواه البخاري (٨/١٥) ومسلم (٢٤٤٤) عن عائشة.

العَقْـلُ على بابـه، وذاكَ لِمَا رآه من بعض المجـانين من نـوعِ مُكاشَفَةٍ أو تصرُّفٍ عجيبٍ خارقٍ للعادة.

ويكونُ ذلك بسبب ما اقْتَرَنَ بـهِ من الشياطين كمـا يكونُ للسَّحَرةِ والكُهَّان، فَيَظُنُّ هذا الضالُّ أنَّ كُلَّ مَن كاشَفَ أو خَرَقَ عادةً كان وليًّا لله، **وَمَن اعتقدَ هذا فهو كافرٌ بـإجماع المسلمينَ [أشدُّ من]**(١) **اليهودِ والنصارى.**

فإنَّ كثيراً من الكُفَّار والمُشركين ـ فضلاً عن أهل الكتاب ـ يكـونُ لهم من المكاشَفـاتِ وخرقِ العـادات بسبب شَيَـاطينهم أضعـافُ ما لهؤلاء؛ لأنّ كُلّمـا كان الـرجلُ أضـلَّ وَأَكْفَرَ، كـان الشيطانُ إليه أقـربَ، لكن لا بُدَّ في جميـع مكاشفـة هؤلاء من الكذب والبهتان، ولا بُدَّ في أعمالهم من فجـور وطغيان، كمـا يكون لإخوانهم من السَّحَرة والكُهَّان.

قال الله تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَـاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٢٢٢].

فكلُّ مَنْ تنزَّلَتْ عليه الشياطينُ لا بُدَّ أن يكونَ فيـه كذبٌ وفجورٌ من أي قِسْمٍ كانَ.

والنبيُّ ﷺ قد أخبر أنَّ أولياءَ الله هم الذين يتقرّبون إليـه

(١) بياض في «الأصل» ولعل ما أثبتُّه صواب إن شاء الله.

بـالفـرائض، وحِـزْبُـهُ المفلحـون، وجنـدُهُ الغـالبـون، وعبـادُهُ الصالحون.

فَمَن اعتقَدَ فيمن لا يفعلُ الفرائضَ ولا النوافلَ أنّه من أولياءِ الله المُتَّقين؛ إما لعَدَمِ عَقْلِهِ أو جَهلِهِ(١)، أو لغيرِ ذلك؛ فمن اعتقد في مثل هؤلاء أنه من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين ـ فهو كافرٌ مُرْتَدٌّ عن دين ربِّ العالمين.

وإذا قال: أنا أشهدُ أنْ لا إله إلّا الله، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله، كان من الكـاذبين الذين قيـل فيهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله، وَالله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَالله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقد ثبت في «الصحيح»(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ ترك

---

(١) وهذا تنبيهٌ آخرُ مهمٌّ غاية، فاحفظه أيضاً.

(٢) لم أره في أحد «الصحيحين» ولم أقف على أحدٍ نسبه إليهما أو إلى أحدهما سوى المصنف رحمه الله، فلعله يريد الحديث الصحيح، ! ولكن أخرجه أحمد (٣/٤٢٤) وأبو داود (١٠٣٩) والترمذي (٤٩٨) والنسائي (٣/٨٨) وابن ماجه (١١٢٥) والدارمي (١٥٧٩) وابن خزيمة (١٨٥٧) وابن حبان (٥٥٣ ـ موارد) وابن الجارود (٢٨٨) والدولابي (١/٢١ ـ ٢٢) والحاكم (١/٢٨٠) والبغوي (١٠٥٣) والبيهقي (٣/١٧٢) عن أبي الجعد الضَّمْري بسند صحيح.
وفي الباب عن أبي قتادة وجابر.

ثلاثَ جُمَع تهاوُناً من غيْرِ عذرٍ طَبَعَ الله على قلبه».

فإذا كان طُبعَ على قَلْبِ مَنْ تَرَكَ الجُمَعَ وإن صَلَّىٰ الظُّهْرَ، فكيف بمن لا يُصَلّي ظُهْراً ولا جُمعَةً، ولا فريضة ولا نافلة، ولا يتطهّر للصلاة، لا الطهارةَ الكبرى ولا الصغرى!؟

فهذا لو كان ـ قبلُ ـ مؤمناً وكان قد طبع على قلبه، كان كافراً مرتدّاً بما تركه ولم يعتقدْ وجوبَه من هذه الفرائض.

وإن اعتقدَ أنه مؤمنٌ كان كافراً مُرْتَدّاً، فكيف يَعْتَقِدُ أنه من أولياء الله المُتَّقين؟

وقد قالَ تعالى في صِفَةِ المُنافقين: ﴿اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة: ١٩] أي: استولى، يُقال: حاذ(١) الإبلَ حَوْذاً إذا استاقها.

فالذين استحوذَ عليهم الشيطانُ، ساقَهم إلى خلافِ ما أَمرَ الله به ورسولُه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٧] أي: تُزعجهم إزعاجاً ـ فهؤلاءِ ﴿اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ الله، أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

---

(١) انظر «المفردات» (١٣٤ ـ ١٣٥) للراغب الأصفهاني.

وفي «السُّنن»(١) عن أبي الدَّرْدَاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما مِنْ ثلاثةٍ في قَرْيةٍ لا يُؤَذَّنُ ولا يُقامُ فيهمُ الصلاةُ إلا استَحْوذ عليهمُ الشيطانُ».

فأيُّ ثلاثةٍ كانوا من هؤلاء لا يُؤَذَّنُ ولا تقامُ فيهم الصلاةُ كانوا من حِزْبِ الشيطان، اسْتَحْوَذَ عليهم؛ لا من أولياء الرحمن الذين أكرمَهُم.

فإنْ كانوا عُبَّاداً زُهّاداً، ولهم جوعٌ وسَهَرٌ وصَمْتٌ وخُلْوَةٌ كرُهبانِ الديارات، والمُقيمين في الكُهُوف والمَغَارات؛ كأهل جَبَل لبنان، وأهل جبل الفتح الذي بِأسون(٢)، وجبل لَيْسون، ومغارة الدمّ بجبل قاسِيُون، وغير ذلك من الجِبال والبِقَاع التي يقصدُها كثيرٌ من العُبَّاد الجُهّال الضُّلَّال، ويفعلون فيها خَلَواتٍ ورياضاتٍ من غير أن يُؤَذَّنَ وتُقَامَ فيهم الصلوات الخمسُ؛ بل يتعبّدون بعباداتٍ لم يَشْرَعها الله ورسُوله، بل يعبدونه بأذواقِهم وتواجِيدهم من غير اعتبارٍ لأحوالهم بالكتابِ والسُّنَّةِ، ولا قَصْدِ المُتَابعة لرسول الله الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱلله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ... الآية [آل عمران: ٣١]

فهؤلاء أهلُ البِدَعِ والضَّلالات من حِزْبِ الشيطان، لا من

(١) رواه أبو داود (٥٤٧) والنسائي (٢/ ١٠٦) وغيرهما بسند صحيح.
(٢) كذا، وهو ـ وما بعده ـ أسماء مواضع.

أولياءِ الرحمن.

فَمَنْ شَهِدَ لهم بولاية الله فهو شاهدُ زورٍ كاذبٌ، وعَنْ طريق الصواب ناكبٌ.

ثم إنْ كان قد عَرَفَ أنَّ هؤلاء مخالفون للرسول، وشَهِدَ مع ذلك أنهم من أولياء الله فهو مُرْتَدٌّ عن دين الإسلام؛ إمَّا مُكَذِّبٌ للرسول، وإمّا شَاكٌّ فيما جاء به مرتابٌ، وإمّا غيرُ مُنْقَادٍ له، بل مخالفٌ له جُحُوداً وعِنَاداً واتّباعاً لهواه ـ وكلٌّ من هؤلاء كافر.

وأمّا إنْ كان جاهلاً بما جاء به الرسولُ، وهو معتقدٌ مع ذلك أنه رسولُ الله إلى كُلِّ أَحدٍ في الأمورِ الباطنةِ والظاهرةِ، وأنّه لا طريقَ إلى الله إلا بمتابعته ﷺ؛ لكنْ ظَنَّ أنَّ هذه العباداتِ البدعيةَ والحقائقَ الشيطانيّةَ، هي ممّا جاءَ بها الرسولُ، ولم يَعْلَمْ أنّها من الشيطانِ؛ لجهلهِ بُسنّتهِ، وشريعتهِ، ومنهاجهِ، وطريقتهِ، وحقيقتهِ، لا لِقَصْدِ مُخالفتهِ، ولا يرجو الهُدَىٰ في غير متابعته ـ فهذا يُبَيَّنُ له الصوابُ، ويُعَرَّفُ ما به من السُّنَّةِ والكتاب، فإنْ تابَ وأنابَ، وإلاّ لَحِقَ بالقِسْمِ الذي قبلَه، وكان كافِرًا مُرْتَدّاً، ولا تُنجيه عبادتُه ولا زهادتُه من عذابِ الله؛ كما لم يَنْجُ من ذلك الرهبانُ، وعُبَّادُ الصُّلبان، وعُبَّادُ النيران، وعُبَّادُ الأوثان، مع كثرةِ مَنْ فيهم مِمَّن له خوارقُ شيطانيةٌ ومكاشفاتٌ شيطانيّةٌ.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِين**

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٤]

قال سعدُ بن أبي وَقّاص وغيرُه من السَّلَف: نزلت في أصحاب الصوامع والديارات(١).

وقد رُوي عن عليّ بن أبي طالبٍ(٢) رضي الله عنه وغيره [من السَّلَف] أنهم كانوا [يتأوّلونها في] الحروريّة(٣) ونحوِهم من أهل البِدَع والضَّلَالات.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]

فالأفاك: هو الكذاب.

والأثيم: الفاجر.

كما قال: ﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥].

وَمَنْ تكلّم في الدين بلا علم كان كاذباً وإنْ كان لا يتعمَّد الكذب؛ كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ لمّا قالت له

(١) أخرجه عبد الرزاق والفِرْيابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٥/٤٦٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والفِرْيابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في «المصدر السابق».

(٣) طائفة من فرقة الخوارج.

سُبَيْعَةُ الأسلميّةُ، وقد تُوفيّ عنها زوجها سعدُ بن خَوْلَةَ في حَجّة الوداع فكانت حاملاً فوضعت بعد موتِ زوجها بليالٍ قلائلَ، فقال لها أبو السنابل بن بَعْكَكٍ: ما أنت بناكحةٍ حتى يمضي عليك آخرُ الأجلين؛ فقال النبي ﷺ: «كذَبَ أبو السنابل، بل حَلَلْتِ فانكَحي»(١).

وكذلك لما قال سَلَمَةُ بنُ الأكْوَعِ: إنهم يقولون: إن عامراً قتل نفسه وحَبِط عمله؛ فقال: «كذب من قالها، إنه لجاهدٌ مجاهدٌ»(٢).

وكان قائل ذلك لم يتعمد الكذبَ؛ فإنه كان رجلاً صالحاً.

وقد روي أنه كان أُسَيْدَ بن الحضَير(٣)؛ لكنه لمّا تكلم بلا عِلم، كذَّبه النبي ﷺ.

وقد قال أبو بكرٍ وابنُ مسعودٍ وغيرُهما من الصحابة فيما يُفتُون فيه باجتهادهم: إنْ يكن صواباً فمن الله، وإن يكنْ خطأً فهو منّي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه.

فإذا كان خطأُ المجتهدِ المغفور له هو من الشيطان، فكيف بمن تكلّم بلا اجتهاد يبيح له الكلامَ في الدين! فهذا خَطَؤُهُ أيضاً من الشيطان، مع أنه يُعاقَبُ عليه إذا لم يَتُبْ.

---

(١) رواه البخاري (٩/٤١٥) ومسلم (١٤٨٤).
(٢) رواه البخاري (١٠/٤٤٩) ومسلم (١٨٠٢).
(٣) قارن بـ «فتح الباري» (٧/٤٦٦ ـ سلفية).

والمجتهدُ خطؤه من الشيطانِ وهو مغفورٌ له، كما أنَّ الاحتلامَ والنسيانَ وغيرَ ذلك من الشيطانِ وهو مغفورٌ، بخلاف من تكلّم بلا اجتهادٍ يبيحُ له ذلك، فهذا كاذبٌ آثمٌ في ذلك، وإن كانت له حسنات في غير ذلك، فإنَّ الشيطانَ يَنْزِلُ على كُلِّ إنسانٍ، ويوحي بحَسَبِ موافقتهِ له، ويُطرَدُ بحسب إخلاصه لله وطاعته له.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عبادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وعبادُهُ هم الذين عبَدوه بما أَمَرَتْ به رسلُهُ من أداء الواجبات والمستحباتِ، وأمّا مَنْ عَبَدَهُ بغير ذلك فإنّه مِنْ عُبَّاد الشيطان، لا مِنْ عُبَّاد الرحمن!

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بني آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيطَانَ إنَّه لَكُمْ عَدُوٌّ مبينٌ. وأنِ اعْبُدُوْني هذا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جبِلًّا كَثيراً أَفَلَمْ تَكُونوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢].

والذين يعبدونَ الشيطانَ أكثرهم لا يعرفون أنهم يعبدونَ الشيطانَ؛ بل قد يظنّون أنهم يعبدون الملائكةَ أو الصالحين، كالذين يستغيثون بهم ويسجدون لهم؛ فهم في الحقيقةِ إنّما عبدوا الشيطانَ، وإنْ ظنُّوا أنهم يتوسلون ويستشفعون بعباد الله الصالحين.

قال تعالى: ﴿وَيومَ يَحْشُرُهُمْ جميعاً ثُمَّ يقُولُ لِلْمَلائِكَةِ

أَهؤلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبدونَ. قَالُوا سُبْحانَكَ أنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

ولهـذا نهى النبيُّ ﷺ عن الصـلاة وقتَ طلوع الشمس ووقتَ غروبها(١)؛ فإنَّ الشيطان يقارنُها حينئذ، حتى يكونَ سجودُ عُبَّاد الشمس له، وهم يظنون أنهم يسجدون للشمس، وسجودُهُم للشيطان.

وكذلك أصحابُ دعَوات الكواكب الذين يَدْعُونَ كوكباً من الكواكب ويسجدون له، ويناجونه ويدعونه، ويضعون له من الطعام واللباس والبخور والتسبيحات ما يناسبه؛ كما ذكره صاحب «السر المكتوم»(٢) المشرقي، وصاحب «الشعلة النورانية»(٣) البوني المَغْربي.

فإنَّ هؤلاء تَنْزِلُ عليهم أرواحُ تخاطبهم وتخبرهم ببعض الأمور، وتقضي لهم بعضَ الحوائج، ويُسَمُّون ذلك روحانيةَ

(١) رواه البخاري (٣/ ٥٠) ومسلم (٨٢٧) عن أبي سعيد.

(٢) في الطلسمات، كما ذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ٩٨٩) ومؤلفه هو أحمد بن أبي الحسن النامقي المتوفى سنة (٥٣٦) ترجمته في «معجم المؤلفين» (١/ ١٩٨).

(٣) ويسمى «اللمعة النورانية» ذكره حاجي خليفة (٢/ ١٥٦٦) وتوجد منه نسخة مخطوطة في «جامعة الرياض» (١٣١) كما قال الزركلي في «الأعلام» (١/ ١٧٤) ومؤلفه هو أحمد بن علي بن يوسف البوني، المتوفى سنة (٦٢٢) ترجمته في «هدية العارفين» (١/ ٩٠).

الكواكب، ومنهم من يَظُنُّ أنها ملائكةٌ وإنما هي شياطين تَنْزِل عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]؛ وذِكْرُ الرحمن هو الذي أنزله، وهو الكتابُ والسُّنة اللذان قال الله فيهما: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ منَّ اللهُ عَلَى المُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] وهو الذكر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فَمَنْ أعْرَضَ عن هذا الذِّكْرِ وهو الكتابُ والسنّة قُيِّضَ له قرينٌ من الشياطين، فصارَ من أولياء الشيطان بحسب ما تابعه ـ وإنْ كان موالياً للرحمن تارةً وللشيطانِ أخرى كان فيه من الإيمانِ وولاية الله بحسب ما والى فيه الرحمنَ، وكان فيه من عداوةِ الله والنفاق بحسب ما والىٰ فيه الشيطان.

كما قال حُذيفة بن اليَمان: القلوبُ أربعةٌ:

قلبٌ أجْرَدُ، فيه سِراجٌ يزهر: فذلك قلبُ المؤمن.

وقلب أغلفُ، فذلك قلبُ الكافر.

- والأغلفُ قلبٌ يُلَفُّ عليه غلافٌ؛ كما قال تعالى عن اليهود: ﴿وَقالُوا قُلوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ الله علَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨].

وقد تقدّم قولُه ﷺ: «مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ طبعَ الله على قلبه»(١) -

وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق.

وقلب فيه مادتان: مادة تَمُدُّه للإيمان، ومادة تَمُدُّه للنفاق. فأيهماءغلَب كان الحُكم له(٢).

وقد رُوي هذا في «مسند الإمام أحمد» مرفوعاً. (٣).

---

(١) ما بين المعترضتين من كلام المصنف رحمه الله، والحديث تقدّم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في «كتاب الإخلاص» وابن جرير، كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢١٤).

(٣) عن أبي سعيد الخدري (٣/١٧) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٥) ثم قال: غريب من حديث عمرو، تفرد به شيبان عن ليث، وحدث به الإمام احمد بن حنبل عن أبي النضر عن شيبان مثله، ورواه جرير عن الأعمش، فخالف ليثاً فقال: عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة وأرسله.

وفي «الصحيحين»(١) عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقاً خالِصاً ومَنْ كانتْ فيه خَصلةٌ منهُنَّ كانتْ فيه خَصلةٌ من النِّفاقِ حتى يدَعها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّث كذَب، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَم فَجَر».

فقد بينَّ النبيُّ ﷺ أنَّ القلبَ يكون فيه شعبةُ نفاقٍ وشعبةُ إيمانٍ؛ فإذا كان فيه شعبةُ نفاقٍ كان فيه شعبةٌ مِن ولايتهِ، وشعبةٌ من عداوتهِ.

ولهذا يكون بعضُ هؤلاء يجري على يديه خوارقُ من جهة إيمانه بالله وتقواه، تكونُ من كرامات الأولياء، وخوارقُ من جهة نفاقهِ وعداوتهِ تكونُ من أحوال الشياطين.

ولهذا أمرَنا الله تعالى أن نقول في كلِّ صلاة: ﴿**اهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتقيمَ. صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضَّالين**﴾.

والمغضوب عليهم: هم الذين يعلمون الحق، ويعملون بخلافه.

قلت: يعني موقوفاً، وليثٌ صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك ومخالفة جرير له بسند صحيح تجعل رفعه منكراً.

فقول السيوطي في «الدر» (١/٢١٥) إسناده جيد، غير جيد. وأورده رحمه الله في «الجامع الكبير» (ق ٤٣٧) وزاد نسبته للطبراني في «الأوسط» ثم قال: وصُحِّح!

(١) رواه البخاري (١/٨٤) ومسلم (٥٨).

والضالُّون : الذين يعبدون الله بغير علم .

فمن اتَّبَعَ هَواهُ وَذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ مَعَ عِلْمِهِ أنه مخالفُ للكتاب والسنة، فهو من المغضوبِ عليهم، . وإن كان [لا يعلم] فذلك من الضالين .

نسألُ الله أنْ يهدينا الصراطَ المستقيمَ، صراطَ الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشُّهداءِ والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

والحمدُ لله ربِّ العالمين، والعَاقِبَةُ للمتقين . (١) .

---

(١) تم الفراغ من تحقيق هذا الكتاب وتخريج أحاديثه والتعليق عليه صبيحة يوم الجمعة ٩ شعبان ١٤٠٦ الموافق ١٨ نيسان / ١٩٨٦، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات .

فهرس الرسالة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة